



فروع من الشجرة الملعونة في القرآن (2 – 12)

بقلم: رائف محمد الويشي

10 ابريل 2013

ذكرنا في الحلقة الأولى الماضية أننا نعاني كشعوب إسلامية من تاريخ كتبه الطغاة لخدمة أجنداتهم السياسية ، ومن ضمن هذا الذي أخفوه عنا – رغم تواجده في أمهات الكتب المعتبرة عند القوم – هو الأحاديث النبوية التي أكدت على أن بني أمية هم الشجرة الملعونة في القرآن ، وقد ذكرنا في الحلقة فكرة عامة عن أسماء فريق الجيل الأول من الأمويين ، كما ذكرنا الكثير من تلك الأحاديث النبوية التي تناولت ذا الشأن ..

في الحلقة الثانية اليوم نقدم أحد أهم فروع الشجرة الملعونة في القرآن ، إنه صخر ابن حرب ، الملقب بأبي سفيان ، رأس الكفر وقائد المشركين ، وصاحب أكبر عدد من اللعنات النبوية ، وزعيم الطلقاء الذين أسلموا كرها يوم الفتح ..

صخر بن حرب (أبو سفيان) :

هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ولد في عام 560 م (63 ق . هـ) أي أنه يكبر النبي (ص) بعشر سنوات ..

صخر بن حرب جاء من سفاح :

يقول هشام الكلبي في مثالب العرب (ص 44) في هذا النسب ما يلي :

" أم أبي سفيان بن حرب صفية بنت حزن بن بجير الهلالي ، وأمها نملة بنت عجرة السلمي ، وأمها حمامة ، وكانت لها راية بالأبطح أمة سوداء تنسب إلى غفار ، أما والدة أبيه حرب بن أمية بن عبد شمس ، فهي بنت هممة بن عبد العزى ، وأم هممة اسمها رعاية كانت لهلال بن معيط الكناني من سفاح " ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : يعتبر محمد بن السائب الكلبي – توفي في عام 146 هـ – أحد أعظم النسابين العرب على الإطلاق ، وقد ورث عنه ابنه هشام بن محمد بن السائب الكلبي – ولد في عام 110 هـ وتوفي في عام 204 هـ – تلك المهنة والمكانة ، وتفوق على أبيه في علم الأنساب .. كما اعتمدت كتب الأمثال اعتمادا أساسيا على مؤلفات هشام الكلبي ، ويعتبر كتاب " جمهرة أنساب العرب " لابن حزم نسخة من كتاب " جمهرة الأنساب " لهشام الكلبي مع تغيير بسيط من حذف أو إضافة ، وأخذ منه البلاذري في أنساب الأشراف ، وخليفة بن خياط في الطبقات ، وأبو عبيد القاسم في الأمثال ، وأبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال ، وأبو الفضل الميداني في مجمع الأمثال ..

إذن نحن أمام مؤلف عزيز كالنهر المتدفق ، وقد ترك لنا أكثر من مائة وخمسين كتابا في الأنساب والأخبار والمثالب والمآثر والبلدان ، وتعتبر كتب جمهرة الأنساب ، والأصنام ، وأنساب الخيل ، ومثالب العرب من أشهر ما ترك هشام الكلبي من ثروات للمكتبة الإسلامية ..

الملاحظة الثانية : نفهم من نسب صخر ابن حرب (أي أبي سفيان) أن أصله من أمه ومن أبيه به نجاسة وزنا ، في الأول هناك المومس حمامة صاحبة الراية ، وفي الثاني توجد رعاية أمة هلال الكناني) ..

قال المقرئزي – توفي في عام 845 هـ – في النزاع والتخاصم فيما بين أمية وبني هاشم (ص 54) في شأن أبي سفيان ما يلي :

" وكان كهفا للمنافقين ، وأنه كان في الجاهلية زنديقا " ..

(ملاحظة : عرف ابن منظور – توفي في عام 711 هـ – في لسان العرب (ج 6 ص 91) الزنديق بأنه القائل ببقاء الدهر ، أي نستطيع أن نقول أنه المنكر للدين) ..

زوجاته :

تزوج صخر بن حرب (أبو سفيان) بالعديد من النساء وأنجبن منه سبعة عشر من البنين والبنات ، وهن كما يلي :

- 1- صفية بنت أبي العاص بنت بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: وأنجبت حنظلة ويزيد ، وأم حبيبة (أم المؤمنين) ، وأميمة ..
- 2- هند بنت عتبة بن ربيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف : وأنجبت معاوية ، وعتبة ، وجويرية ، وأم الحكم ..
- 3- زينب بنت نوفل ابن خلف : ولم تتجب له ..
- 4- عاتكة بنت أبي أزيهر : وأنجبت له محمد وعتيبة ..
- 5- صفية بنت أبي عمرو ابن أمية ابن عبد شمس ابن عبد مناف : وأنجبت لع عمرو ، وعمر ، وصخرة ، وهند ، وأمينة ..
- 6- أمامة بنت سفيان ابن وهب : وأنجبت له رملة الصغرى ..
- 7- لبابة بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف : وأنجبت له ميمونة ..

كما ذكرنا ، فإن العداوة التي يحملها أبناء العم عبد شمس على أبناء الشقيق هاشم تضرب في القدم ، وقد زادت تلك العداوة بمرور السنين بسبب المحبة التي يملكها الناس تجاه ذرية بني هاشم ، ووصلت إلى قمته بظهور النبوة في بني هاشم ، فلم تقبل أبدا ذرية عبد شمس أن تظهر النبوة عند ذرية أولاد عمهم هاشم ، فأعلنوا الحرب عليهم منذ فجر البعثة ، لهذا نرى بعضهم وهو ينشد شعرا يعبر عن حقه الدفين على النبوة التي حظي بها بنو هاشم ، فيقول ما يلي :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

فقد الأمويون الكثير من رجالهم في حروبهم المستمرة على ابن العم محمد الهاشمي وأصحابه ، وبقيت هذه الدماء تغزى حقدهم على مر السنين رغم إسلامهم ..

قتلى الأمويين في بدر :

- 1 - عتبة ابن ربيعة (والد هند أكلة الأكباد) ابن أمية ابن عبد شمس ، وقتل على يد حمزة في بدر
- 2 - ابنه الوليد ابن عتبة (شقيق هند) ابن ربيعة ابن أمية ابن عبد شمس ، وقتل على يد علي ابن أبي طالب في بدر ..
- 3 - شيبه ابن ربيعة ابن أمية (شقيق عتبة وعم هند) ابن عبد شمس ، وقتل على يد علي ابن أبي طالب في بدر ..
- 4 - حنظلة ابن أبي سفيان (ابنه البكر) ابن أمية ابن عبد شمس ، وقتل على يد علي ابن أبي طالب في بدر ..
- 5- عقبة ابن أبي معيط ابن أمية ، وقتل على يد علي ابن أبي طالب ..
- 6- العاص ابن سعيد ابن العاص ابن أمية ابن عبد شمس ، وقتل على يد علي ابن أبي طالب ..
- 7- عبيد بن سعيد بن العاص ابن أمية ابن عبد شمس ن وقتل على يد علي ابن أبي طالب ..

(ملاحظتان : الملاحظة الثانية : كان عدد المسلمين في بدر يبلغ 313 رجلا مع سبعين جملا و فرسين ، منهم 77 من المهاجرين + 236 من الأنصار وكان علي ابن أبي طالب هو صاحب الراية ، وكانت قريش 950 رجلا مع 700 جملا + 200 فرسا ، أي أن كل قواتهم كانت محمولة ..

الملاحظة الثالثة : أسفرت بدر عن هزيمة ساحقة للمشركين ، فكان قتلى المسلمين 14 رجلا ، وكان قتلى المشركين 70 رجلا ، كان نصفهم تقريبا على يد علي بن أبي طالب ، ومنهم أبو القيس شقيق خالد بن الوليد بينما النصف الآخر على يد الملائكة والمسلمين + 70 من الأسرى) ..

صخر بن حرب (أبو سفيان) يهدد بنبش قبر أم النبي (ص) بغرض المساومة

في الطريق شمالا من مكة إلى المدينة مر جيش قريش وهو في طريقه لمحاربة النبي (ص) يوم بدر بمنطقة الأبواء ، فوقف أبو سفيان عند قبر أم النبي (ص) أمينة بنت وهب وأخبر القوم بنبش قبرها لإجباره على التسليم ..

قال الواقدي - توفي في عام 207 هـ - في مغازي رسول الله (ص 158) أن أبا سفيان وقف أمام القبر وقال ما يلي :
" فإن يصب محمد من نساكنم أحدا قلتم : هذه رمة أمك ، فإن كان بارأ كما يزعم فلعمري ليفادينكم برمة أمه ، وإن لم يظفر بإحدى نساكنم فلعمري فليفدين أمه بمال كثير ، فاستشار أبو سفيان أهل الرأي من قريش في ذلك ، فقالوا: لا تذكر من هذا شيئا " ..

يضيف الواقدي في المغازي (ص 90) أن أبا سفيان منع قريش من البكاء على قتلاهم بعد الهزيمة الكبيرة التي منوا بها في بدر مخافة أن يذهب غيظهم ويقل سعيهم في ملاقاته محمد وجيشه في حرب قادمة ، فيقول الواقدي ما يلي :
" فأنتم إذا نحتم عليهم وبكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم فأععدكم عن عداوة محمد وأصحابه ، مع أنه إن بلغ محمداً وأصحابه شمتوا

بكم ، فيكون أعظم المصيبين شمتهم ، ولعلكم تدركون ثأركم ، فالدهن والنساء عليّ حرام حتى أغزوا محمداً " ..

هرقل وأبو سفيان يتحدثان عن النبي (ص)

ذكر الواقدي في مغازي رسول الله (ص 223) تلك الرواية التي تكشف حجم الحقد الذي عليه أبو سفيان ، فقد زار أبو سفيان الروم في رحلاته التجارية وقابل ملكها هرقل ودار بينهما الحديث التالي :

هرقل : يا أبا سفيان لقد كان يسرني ان ألقى رجل من أهل بلدك يخبرني عن هذا الرجل الذي خرج منكم ..

أبو سفيان : على الخبير سقطت ، سألني عما شئت من أمره

هرقل : حدثني عنه انبي هو أم كذاب ؟

أبو سفيان : هو كذاب ، قال هرقل : ما الذي يأمركم به؟ وما الذي ينهاكم عنه؟

هرقل : ما الذي يأمركم به؟ وما الذي ينهاكم عنه؟

أبو سفيان : يأمرنا أن ننحني طرفي النهار كما تنحني النساء ، وأن نعطي خراجا من أموالنا كل عام ، وينهانا عن الميتة والدم ..

هرقل : أخبرني هل يغدر إذا واثق؟

أبو سفيان : لا ، ما غدر ..

صخر ابن حرب (أبو سفيان) يوم الخندق :

كما قاد أبو سفيان القوات القرشية يوم أحد ، قادها أيضا يوم الخندق ، وقد كتب رسالة إلى النبي (ص) يتوعده فيها بأن يناله الأذى بأكثر مما حدث يوم أحد ..

اشترك أبو سفيان وأولاده وأغلب ذرية بني أمية في كل الحروب التي حاربت النبي (ص) قبل فتح مكة في عام 8 هـ ، وقاد جيش

المشركين في موقعة أحد في عام 3 ، وكذلك في موقعة الخندق (الأحزاب) في عام 5 هـ ..

قال ابن حجر العسقلاني – توفي في عام 852 هـ - في الإصابة (ج 2 ص 172) عن أبي سفيان ما يلي :

" كان رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب " ..

(ملاحظة : سُميت معركة الخندق بالأحزاب لأن بني النضير بعد أن حاولوا بالمدينة قتل النبي (ص) طردهم من ديارهم ، فتحالفوا مع أطراف ثلاثة لشن حرب عليه وهم : يهود بني قريظة (رغم عهدهم مع المسلمين) ، قريش ، وقبيلة غطفان ، وقد قاد أبو سفيان تلك الأحزاب الأربعة وحاصروا المدينة لثلاثة أسابيع بعد عجزهم عن دخولها بسبب الخندق الذي حفره المسلمون بنصيحة من سلمان ، وجاءت الرياح العاصفة فأجبرتهم على العودة لديارهم) ..

يقول ابن هشام – توفي في عام 218 هـ - في السيرة النبوية (ج 2 ص 126) أن أبا سفيان كتب يوم الخندق إلى النبي (ص)

الرسالة التالية :

" باسمك اللهم أحلف باللات والعزى وساف وناثلة وهبل ، لقد سرت إليك أريد استئصالكم ، فأراك قد اعتصمت بالخندق ، فكرهت

لقائي ، ولك مني كيوم أحد ، وبعث بالكتاب مع أبي سلمة الجشمي ، فقرأه للنبي أبي بن كعب رضي الله عنه فكتب إليه رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم : " قد أتاني كتابك ، وقديما غرك - يا أحمق بني غالب وسفيهم - بالله الغرور ، وسيحول الله بينك وبين

ما تريد ، ويجعل لنا العاقبة ، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وساف وناثلة وهبل ، يا سفيه بني غالب " ..

ويقول ابن هشام في السيرة النبوية (ج 3 ص 99) ، وابن عساكر – توفي في عام 571 هـ - في تاريخ مدينة دمشق (ج 23

ص 444) ، والقرطبي – توفي في عام 671 هـ - في تفسيره (ج 4 ص 151) أن أبا سفيان كان يصيح يوم الخندق قائلاً " أعل

هبل ، أعل هبل " ، فقال رسول الله (ص) : " ألا تحببونه ؟ " ، قالوا : " يا رسول الله ما نقول ؟ " ، قال : قولوا : " الله أعلى وأجل

" ، فقال أبو سفيان إن لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله : " ألا تحببونه ؟ " فقالوا : يا رسول الله ما نقول ؟ قال : قولوا :

الله مولانا ولا مولى لكم " ..

أبو سفيان فاز بالعدد الأكبر من لعنات النبي (ص)

أن يخص النبي (ص) ثلاثة فقط بالدعاء عليهم في صلاته ، فلا بد أنهم هؤلاء كانوا على درجة كبيرة من إلحاق الأذى به وبرسالته

وبالمسلمين ..

ذكر الترمذي – توفي في عام 279 هـ - في الجامع الصحيح (ج 5 ص 212) ، الطبري – توفي في عام 310 هـ - في تفسيره (ج 4 ص 88) ، والبخاري – توفي في عام 256 هـ - في المغازي (ج 4 ص 1493) أن أبا سفيان كان ضمن الثلاثة الذين خصهم النبي (ص) في صلاته الصبح يوم أحد في الركعة الثانية حيث دعي بقوله ما يلي :
" اللهم العن أبا سفيان ، وصفوان بن أمية ، والحارث بن هشام " ..

(**أربع ملاحظات : الملاحظة الأولى** : صفوان ابن أمية قتل أبوه مشركا في بدر ، وكان من أشد المعادين للنبي ودبر محاولة لاغتياله ثارا لأبيه وفشلت ، قتل عددا كبيرا من المسلمين في أحد ، هرب يوم فتح مكة وقرر الانتحار غرقا بالبحر الأحمر ، عفي عنه النبي وأسلم ومات في 41 هـ في عهد معاوية .. أما الحارث بن هشام ابن المغيرة فهو ابن عم خالد ابن الوليد ، وقد أسلم يوم الفتح لما تشفعت أم هانئ (شقيقة على ابن أبي طالب) له ، استشهد في معركة اليرموك في عام 15 هـ ..

الملاحظة الثانية : كما هي عادة البخاري في التغطية على عورات الأمويين بصورة خاصة ، وأصحاب النبي بصورة عامة ، نجد هنا يحذف الأسماء ويضع مكانها فلان ، وفلان ، وفلان ، وهذا يخالف الأمانة العلمية – لمزيد من المعلومات في ذلك ننوه إلى الحلقة الرابعة من دراسة لنا من أربع حلقات على موقعنا بعنوان : " كارثة منع تدوين الحديث وأثرها على تقسيم المسلمين " ..

الملاحظة الثالثة : اختص النبي (ص) أبا سفيان بأن يكون ملعونا في المواقف التالية:

- 1- كان أبو سفيان أول من اعترض طريق النبي يوم خروجه إلى الطائف يدعو تقيف إلى الإسلام ، فقد سبه أبو سفيان ولعنه ووعده بأن يبطش به ..
 - 2- يوم عودة العير القادمة من الشام حيث كان النبي (ص) يريد الظفر بها ، ففطن أبو سفيان وضرب بها بالصحراء ، ووقعت بدر بسبب هذه الحادثة..
 - 3- يوم الجمل الأحمر ، أي يوم بدر حيث كان عتية ابن ربيعة يمتطي جملا أحمر ..
 - 4- يوم أحد حيث وقف تحت الجبل والنبي (ص) أعلاه وكان يصيح " إعل هبل " ، فلعنه النبي عشر مرات ولعنه المسلمون ..
 - 5-- يوم الأحزاب (الخندق) حين اخذ يصيح " إعل هبل " فلعنه النبي (ص) وابتهل ..
 - 6-- يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدوا النبي (ص) عن المسجد الحرام والهدى معكوبا أن يبلغ محله ، ذلك يوم الحديبية، فلعن النبي (ص) أبا سفيان ، ولعن القادة والأتباع ، وقال : " ملعونون كلهم ، وليس فيهم من يؤمن " ، فقيل : يا رسول الله أفما يرجى الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة؟ فقال : " لا تصيب اللعنة أحدا من الأتباع ، وأما القادة فلا يفلح منهم أحد " ..
 - 7- يوم اشتراكه في مجموعة الاغتيال في رحلة العودة من تبوك في عام 9 هـ حيث مر النبي بالممر الضيق فتسللت مجموعة من الخونة بغرض اغتياله ، وسنذكر هذا الحدث في الفقرة القادمة عند ذكرنا حديث " في أصحابه اثني عشر منافقا " – راجع أيضا شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد ج 6 ص 290 / 291 خطبة رقم 83 ..
- الملاحظة الرابعة** : كانت تلك المواقف السبعة هي الأشهر في لعن رسول الله لأبي سفيان ، لكنها لم تكن الوحيدة ، ومما يجدر ذكره أن الإمام علي (ع) قد كاتب معاوية فقال له في خطابه : " يا ابن صخر ، يا بن اللعين " .. راجع شرح النهج لابن أبي حديد ج 15 ص 82 .. وقال له أيضا في نفس المصدر (ج 15 ص 196) : " منا النبي ، ومنكم المكذب " ، وقال الإمام الحسن له في نفس المصدر (ج 6 ص 288 / 289) : " وأنتك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم تسرون الكفر ، وتظهرون الإسلام وتستمالون بالأموال " ..) ..

بداية الحرب الخفية لأبي سفيان بعد إسلامه :

أسلم أبو سفيان يوم فتح مكة في عام 8 هـ مضطرا لإنقاذ نفسه من القتل ، وحينها قال النبي له ولغيره " إذهبوا فأنتم الطلقاء " ، ومن هن جاءت تسمية المكربين على الإسلام يوم الفتح بالطلاق ، وأطلق على أبنائهم بـ " أبناء الطلقاء " ..

والطلاق هم أيضا " المؤلفة قلوبهم " الذين خصص لهم النبي (ص) دخلا مميذا من الغنائم بهدف فتح شهيتهم المريضة للإسلام وانتقاء شرورهم ..

(ملاحظة : يقول شيخ الأمويين ابن تيمية – توفي في عام 728 هـ - في السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (ج 3 / 74) أن عدد الطلقاء يوم الفتح كان بحدود ألفي شخص) ..

ذكر سبط ابن الجوزي – توفي في عام 654 هـ - في تذكرة الخواص (ص 201 / 201) ، وابن أبي حديد – توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 6 ص 288) ، ، وأحمد زكي صفوت في جمهرة خطب العرب في عصور العرب الزاهية (ج 2 ص 22) أن معاوية عارض أن يدخل أبوه الإسلام ، فكتب إليه قائلا ما يلي :
يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا * بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
خالي وعمي وعم الأم ثالثهم * وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تركنن إلى أمر يكلفنا * والراقصات به في مكة الخرقا

فالموت أهون من قول العداة: لقد * حاد ابن حرب عن العزي إذا فرقا

ولأن الطلقاء أسلموا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، فقد هاجروا للمدينة لمحاربة الإسلام من الداخل ، فتحالفوا هناك مع المنافقين واليهود ، وقد تعرض النبي (ص) في طريق عودته مع الجيش من غزوة تبوك (عام 9 هـ) لمحاولة اغتيال من أفراد جيشه أثناء مروره منفردا مع حرسه في بطن جبل ، وكان مجموعة الاغتيال من قريش وفيهم أبو سفيان ، وقال نقل الصحيحان حديث النبي في تلك الحادثة :

ذكر البخاري – توفي في عام 256 هـ - في صحيحه (ج 3 / ص 729 – رقم الحديث 4905) ، ومسلم – توفي في عام 261 هـ - في صحيحه (ج 4 / ص 551 – حديث رقم 2779) عن حذيفة بن اليمان أن النبي قال :
" في أصحابي اثنا عشر منافقا ، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط " ..

(سبع ملاحظات : الملاحظة الأولى : كان النبي (ص) قد أخبر حذيفة بن اليمان بأسماء مجموعة الاغتيال الإثني عشر وأسماء المراقبين الثلاثة للمجموعة ، لأنه كان يحرسه أثناء تلك الرحلة وشاهد معه تلك المجموعة وهي تختبئ في ظلمة الليل وتهرب بعد فشلها ..
الملاحظة الثانية : ذكرت بعض كتب السنة بعض التفاصيل عن تلك المحاولة – راجع البيهقي في دلائل النبوة (ج 5 ص 256) ، والسيرة الحلبية للحلي (ج 3 ص 143) ، والسيوطي في الدر المنثور ج 4 ص 243 ، والنص منقولاً عن عروة بن الزبير ..
الملاحظة الثالثة : ذكرت كتب الشيعة أن حذيفة بن اليمان أخبر الإمام علي (ع) بعد وفاة النبي بجميع أسماء المجموعة ، وقد ذكرت تلك الكتب أسماء مجموعة الاغتيال مع مجموعة المراقبة المكونة من ثلاثة ، لكننا نعتمد في دراستنا هذه على مصادر أهل السنة فقط ..
الملاحظة الرابعة : لأن الأسماء بقيت عند الإمام علي (ع) وأنصاره ، فقد أخذ المسلمون يراقبون حذيفة بن اليمان عند وفاة أي أحد من قادة المهاجرين ، فإذا صلى عليهم حذيفة عرف الناس أن الميت ليس من القائمة ، وكان قدر أبي بكر أن يكون أول القادة الراحلين ، فرفض حذيفة بن اليمان الصلاة عليه رغم مناشدة عمر بن الخطاب له - راجع ابن حزم الأندلسي في المحلى (ج 11 ص 224 ط دار الأفاق الجديدة بيروت) ، وابن عساکر في تاريخ مدينة دمشق (مختصر لابن منظور ج 6 ص 253 ط دار الفكر) ..

الملاحظة الخامسة : كان حذيفة بن اليمان واليا على المدائن بالعراق في خلافة عمر ولم يحضر وفاته ، وكان يعيش بالكوفة عند موت عثمان ، لكنه لما علم بولاية الإمام علي (ع) دعي ولديه – صفونا وسعد - والناس بالكوفة إلى الوقوف مع الإمام علي ، وقد استشهد ولداه بصفين وهم يقاتلان مع الإمام علي ..
الملاحظة السادسة : مثلت قائمة الاغتيال التي يحتفظ بها حذيفة بن اليمان هاجس خوف عنده على الدوام ، فقد كان يخشى التصفية على يد تلك المجموعة ، لذلك نجده أنه استخدم وسيلتين لحماية نفسه ، أولها هي قراره بالعيش بعيدا عن المدينة ، وثانيها هو استخدامه للتقية ، وندل على ذلك بنقطين ، وهما ما يلي :

1- ذكر ابن أبي شيبه في مصنفه (ج 7 ص 474) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (ج 2 ص 368) ما يلي : " حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سيرة ، قال : دخل بن مسعود وحذيفة على عثمان ، فقال عثمان لحذيفة : بلغني أنك قلت كذا وكذا ، قال لا والله ما قلته ، فلما خرج قال له عبد الله : ما لك فلم تقوله ما سمعتك تقول ، قال : إني اشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله " ..
2- ذكر ابن عساکر في تاريخ مدينة دمشق (ج 12 ص 289) ، والمتقى الهندي في كنز العمال (ج 13 ص 345) ينقل حديثا عن حذيفة يؤكد أنه كان يتجنب القوم وأنه سيقتل لو تكلم بما عنده ، وذلك كما يلي :

" قال أبو هلال عن قتادة قال حذيفة : لو كنت على شاطئ نهر ، وقد مددت يدي لأغترف فحدثكم بكل ما أعلم ما وصلت يدي إلى فمي حتى أقتل " ..
الملاحظة السابعة : كان عمار ابن ياسر – المرافق الثاني مع حذيفة – معروفا بشجاعته ، وقد صرح بإسم أحد مجموعة الاغتيال كما يلي: ذكر ابن عساکر في تاريخ مدينة دمشق (ج 32 ص 94) عن حكيم قوله: " كنت جالسا مع عمار فجاء أبو موسى (الأشعري) فقال : مالي ولك ألسن أخاك ؟ قال : ما أدري ، إلا أنني سمعت رسول الله يلعنك ليلة الجبل ! قال: إنه قد استغفر لي ! قال عمار : قد شهدت اللعن ، ولم أشهد الاستغفار ! " ..

إذن ما يمكن أن نخرج به من الفقرة السابقة من نتائج هو أن أصحاب النبي (ص) المقربين كانوا على دراية بأن بني أمية - رغم إسلامهم – يكونون شرا للنبي ، وينتظرون الفرصة للغدر به ، وربما يدل على ذلك النص التالي الذي أورده مسلم في صحيحه :

ذكر مسلم – توفي في عام 261 - في صحيحه (127 / 7) حديثا في أبي سفيان يدل على كراهية أصحاب رسول الله له رغم إسلامه ، وذلك كالتالي :

" أتى أبو سفيان على سلمان وصهيب وبلال في نفر ، فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها (أي أن الحديث قيل بعد الفتح) فقال لهم أبو بكر : أتقولون هذا لشيوخ قريش وسيدهم؟! فأثنى النبي فأخبره ، فقال النبي : يا أبا بكر ، لعلك أغضبتهم ! لأن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك ، فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوانه ! أغضبتهم ؟ ، قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي " ..

(ملاحظة : إذا كان منطلق أبي بكر هو أن أبا سفيان يعتبر شيخ قريش وسيدهم ، فرأيه يخالف النهج النبوي في أبي سفيان وفي بني أمية ، وهو (ص) لا

ينطق عن الهوى ، وكان من الواضح أن الصحابة الجالسين مع أبي بكر يعرفون رأى رسولهم في أبي سفيان ، وإلا لما صرّحوا بما قالوا .. لا غرابة في المناصب التي أسندها أبو بكر إلى أبناء طلقاء بني أمية وحرّم منها بني هاشم عندما اغتصب السلطة ، وقد ذكرنا أن عمر قد تبعه في هذا المسار ، بل توسع فيه كثيراً ، ولما تولى عثمان فتح الباب على مصراعيه لبناء قبيلته الأموية ، فقد كانت قناعة ثلاثتهم أن إسناد أي منصب لبني هاشم عموماً وأهل البيت خصوصاً - حيث سيد العترة - سيجعل أفئدة الناس تهوى إليهم ، وينزع مبرر تواجدهم في الخلافة) ..

هند ، صاحبة الراية ، أم معاوية وأكلة الأكباد :

يقول هشام الكلبي في كتابه السابق مثالب العرب (ص 18) أن أبا سفيان كان أحد أشهر زناة العرب ، ونستطيع أن نستنتج من ذلك أن بعض زوجاته كن من أصحاب الرايات..

كانت هند قبل ارتباطها بأبي سفيان زوجة للفاكهة بن المغيرة المخزومي والذي كان معروفاً بالشعر وعزة النفس ، إلا أنه تركها لما عرف أنها تزني مع الرجال ..

يقول أبو الفرج الأصفهاني - توفى في عام 356 هـ في الأغاني (ج 9 ص 62) ما يلي :

" إن الفاكهة دخل عليها يوماً ورأى رجلاً عندها فقال : من هذا الذي خرج من عندك ؟ ! قالت: ما رأيت أحداً ولا انتبهت حتى أنبهتني ، فقال لها: ارجعي إلى أمك ، وتكلم الناس فيها " ..

يقول أبو القاسم الزمخشري - توفى في عام 538 هـ - في ربيع الأبرار (ج 1 ص 752) أن الصباح كان أجيراً عند أبي سفيان ووسيماً أسمر اللون ، بينما كان أبو سفيان ذميم المنظر ، فلما جاءها الأم الوضع ظننت أن المولود سيكون أسود فذهبت إلى جبال أجياد ، وهي عادة زانيات مكة عندما يرمون أولادهم من السفاح تخلصاً من العار ، لكن اللون الأبيض غلب عليه فأبقتة ولم تنبذه ونسبته لزوجها أبي سفيان وسمته عتبة!

وقد أورد هشام الكلبي - توفى في عام 204 هـ - في مثالب العرب (ص 45) ، وابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة (ج 1 ص 336) أبياتاً من الشعر نظمها الشاعر حسان بن ثابت في هذا الحدث وقال فيها ما يلي :

لمن الصبي بجانب البطحاء في الترب ملقى غير ذي مهد
نَجَلَتْ به ببيضاء أنسه من عبد شمس (يقصد هنداً) صلّة الخد
لمن سواقط صبيان منبذة باتت تُفحص في بطحاء أجياد
باتت تمخض ما كانت قوابلها إلا الوحوش وإلا حنة الوادي
فيهم صبي له أم لها نسب في ذروة من ذرى الأحساب أياد

ويذكر القاضي النعمان - توفى في عام 363 هـ - في المناقب والمثالب (ج 4 ص 246) المصير الذي لاقاه الصباح على يد عاشق آخر لهند ، فيقول التالي :

" فلما فشا خبر الصباح ووقوعه بهند ، غاربه عمارة بن الوليد بن المغيرة ، وكان يأتيها ، فخرج بالصباح إلى سفر وأمر به ، فطبخ له قدرأ ، فأتاه به في يوم حار فقال: طعام حار في يوم حار ! وأمر به ، فشدد في شجرة ورماه بالنبل حتى قتله ، لما نقمه عليه من أمر هند " ..

ويقول ابن أبي حديد - توفى في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة (ج 1 ص 336) ، وأبو القاسم الزمخشري في ربيع الأبرار ، والقاضي النعمان في المناقب والمثالب (ج 4 ص 243) أن نسب معاوية لم يكن في حال أفضل من تلك التي كان رجال بني أية ، فيقول ما يلي :

" كان معاوية يعزى إلى أربعة : إلى مسافر بن أبي عمرو وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة وإلى العباس بن عبد المطلب وإلى الصباح مغنّ كان لعمار بن الوليد . قال: وقد كان أبو سفيان دميماً قصيراً ، وكان الصباح عسيفاً (أجيراً) لأبي سفيان شاباً وسيماً ، فدعته هند إلى نفسها فغشيتها " ..

ولأن خسائر هند كانت عظيمة يوم بدر ، حيث خسرت أباه عتبة وشقيقها الوليد وعمها شيبه وابن زوجها حنظلة ، فقد أنشدت فرحاً

يوم أحد ومثلت ببطن الحمزة (قاتل أبيها) وأخرجت كبده وأكلتها ، فضرب بها المثل عند العرب في التوحش ، وهي تقول عن أحد ما يلي :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخي وعمه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي على عمري حتى ترم أعظمي في قبري
أبي وعمي وشقيق بكري أخي الذي كان كضوء البدر
بهم كسرت يا علي ظهري

قال الواقدي - توفي في عام 207 هـ - في مغازي رسول الله (ص 221 / 222) عما فعلته هند بجثة الحمزة ابن عبد المطلب يوم أحد ما يلي :

" بقرت بطن حمزة وأخرجت كبده فمضغتها ، وقطعت مذاكيره وأذنيه وجذعت أنفه ، وكان ألم النبي على حمزة ممضا فوقف على جثته وقال : ما وقفت موقفاً قط أعيظ إلى من هذا ... أنني لن أصاب بمثلك أبداً .. "

أبو هند (عتبة) جاء من زنى أيضا :

كانت أم عتبة هي نضلة بنت أسماء الكلبية وهي زوجة ربيعة بن عبد شمس وهي أم عتبة وشيبة الذين قتل يوم بدر ن وقد ولدت عتبة سفاحا من شقيق زوجها أمية ..

يقول أبو الفرج الأصفهاني - توفي في عام 356 هـ - في الأغاني أن أمية بن عبد شمس جاء ذات ليلة إلى دار أخيه ربيعة فلم يجده فاحتلى بزوجة أخيه نضلة بنت أسماء الكلبية وواقعها ، فحبلت منه بعتبة

وهند يوم فتح مكة كانت لها مناظرة مع رسول الله ، فهي أعطته واحدة تكشف أن حقدتها على الإسلام لن ينتهي ، وهو (ص) رد عليها بأخرى تذكرها بماضيها ..

يقول المؤرخ ابن الطقطي - توفي في عام 709 هـ - في الفخرى الآداب السلطانية (ص 76 / 77) أن هنداً عندما تقدمت لمبايعة النبي (ص) يوم فتح مكة قال لها : تبايعي على ألا تقتلي أولادك ، فقالت له : ربيناهم صغارا وقتلتهم كباراً يوم بدر ، فقال لها : وعلى أن لا تزنين !! فقالت هند وهل تزني الحرة؟ فالتفت رسول الله إلى العباس وتبسم لأن جميع الناس في مكة كان على علم بتاريخ هند في الزنا ..

أبو سفيان ينكر البعث بعد إسلامه أمام الخليفة الثالث ، ابن أخيه عثمان :

ذكر علي المسعودي - توفي في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 2 / 230) ، وأبو فرج الأصفهاني - توفي في عام 356 هـ - في الأغاني (6 / 355 - 356) ، وابن عبد البر - توفي في عام 463 هـ - في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (690) عن أنس ابن مالك أنه قال ما يلي :

" حين بويع عثمان دخل أبو سفيان داره ومعه بنو أمية ، فقال أبو سفيان - وكان قد عمى - أفيكم أحد غيركم ؟ قالوا : لا ، قال : يا بني أمية ، إن الأمر أمر عالمية ، والملك ملك جاهلية ، فاجعلوا أوتاد الأرض بني أمية .. إن الخلافة صارت في تيم وعدى (قبيلتنا أبي بكر وعمر) حتى طمعتا فيها ، وقد صارت إليكم تلقفوها تلقف الكرة ، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم . ولتصيرن إلى صبيانكم وراثه ، واجعل أوتادها بني أمية ، فإنما هو الملك ، ولا أدري ما جنة ولا نار " ..

لم يخبرنا أبو سفيان - المكروه على الإسلام يوم الفتح خوفا من القتل - عن هذا الذي يحلف به ؟! ، أهما اللات والعزى أم الله تعالى ؟! على أية حال لم يخيب الخليفة الجديد عثمان ظن كبير طلقاء بني أمية في تسلم صبياتها الحكم !! ..

الخليفة عثمان يعطى أبا سفيان من بيت مال المسلمين

عرف عن الخليفة الثالث عثمان بن عفان إسرافه في توزيع مال المسلمين على أقاربه بصورة صادمة ، وكان من أوائل هؤلاء الذين خصص لهم عثمان هو أبو سفيان ..

قال ابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة (ج 1 ص 67) أن عثمان بن عفان بن العاص قد أعطى مائتي ألف درهم لعمه أبي سفيان من بيت مال المسلمين ..

أبو سفيان أمام قبر الحمزة بن عبد المطلب

قلنا فيما سبق أن الكراهية التي كانت يحملها بنو أمية على أبناء العم من بني هاشم لم تكن بسبب النبوة ، بل كانت ضاربة في القدم قبل ذلك ، لكن النبوة لما فاز بها بنو هاشم أشعلت حرب بني أمية على أبناء العم وجعلتها تصبح أكثر تنظيمًا وقوة ، فقد أدخل أبو سفيان قبائل أخرى لمحاربة بني هاشم ، وقاد - كما عرفنا في أحد والخندق - الحرب على بني هاشم بالمدينة رغم أنهم تركوا له مكة وما فيها ، لقد مثل الحمزة بن عبد المطلب ركنا أساسيا في الدعوة لدين الله ، فهو من خلف شقيقه أبي طالب في حماية ابن الشقيق محمد بن عبد الله من أعداء الإسلام ، وهو من قتل والد هند في بدر ، وهو من بقرت هند بطنه في أحد وأخرجت كبده ولاكتها ، وهو ما زاره أبو سفيان في قبره ليصب عليه كيدته ويخبره بأن الأمر قد عاد إلى بني أمية ..

يقول ابن أبي حديد في شرح نهج البلاغة (ج 4 ص 51) أن أبا سفيان قد زار قبر الحمزة بن عبد المطلب في خلافة ابن شقيقه الخليفة الثالث عثمان وقال هناك لصاحب القبر ما يلي :
" يا أبا عمارة ، إن الذي تقاتلنا عليه يوم بدر صار في أيدي صبياننا " ..

في الحلقة القادمة إن شاء الله ، سنتعرف على فرع آخر من فروع الشجرة الملعونة في القرآن ، فإلى لقاء ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس - ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com